

الفصل الثالث الجهاد والمجاهد

المجاهد :

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ
أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ
آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ
فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (١) .

ويقول عز وجل :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

ويقول سبحانه :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

من هذه النصوص القرآنية الكريمة نتبين أن الجهاد في الإسلام إنما

(١) النساء : ٧٥-٧٦ .

(٢) البقرة : ١٩٣ .

(٣) البقرة : ٢٤٤ .

هو جهاد من أجل فكرة ، هذه الفكرة هي ما عبر عنه عنه سبحانه :
بسيبيل الله وسبيل الله هو الخير والعدل والحق ، فالقتال فى الإسلام ،
إنما كان من أجل :

١ - أن يكون الدين كله لله .

٢ - وألا تكون فتنة .

٣ - ومن أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين
لا حول لهم ولا قوة ، الذين ينالون من عسف الطغاة وبغيهم الشر
الكثير فيضربون إلى الله سبحانه أن ينقذهم من الظلم .

٤ - ثم من أجل هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم
بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

وقد يتساءل إنسان : ما هو سبيل الله ؟ وكيف يكون الدين كله
لله ؟ .

ومن أجل بيان سبيل الله سبحانه نذكر بعض المبادئ الإسلامية
متضمنة فى قصص واقعية تصور الرشاد وطريق البغى ، تصور أولياء
الله وأولياء الشيطان :

(أ) من أولى هذه القصص قصة هؤلاء الذين هاجروا بدينهم إلى
الحبشة ، لم تكن هجرتهم هجرة سياحة يستمتعون فيها بشهواتهم
مليين دواعى الأهواء ، ولم تكن هجرتهم هجرة لدنيا يصيبنها ، أو
امرأة ينكحونها ، وإنما هاجروا بدينهم ولدينهم ، لقد هاجروا حتى
لا يفتنهم الطغاة الظالمون ، لقد هاجروا لله وللخلق الكريم ، وللمثل
العليا - إنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

فلما سافروا بدينهم إلى الحبشة ، أرسل القرشيون وفدًا إلى النجاشي فيه عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، لرد المهاجرين إلى مكة ليعذبوهم من جديد ، ولما التقى الوفد بالنجاشي قال له عمرو بن العاص :

« إنه قد لجأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم : من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينًا (أى أبصر بهم) وأعلم بما عابوا عليهم » .

فلما سمع النجاشي كلامهم رأى أن من الحكمة : ألا يسلم إليهم المهاجرين دون أن يسمع كلامهم وحثهم ، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، فدعاهم ، فلما جاءوا قال لهم :

« ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ » .

فكان الذى كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له :

« أيها الملك ، كنا قومًا أهل جاهلية : نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأتى بالفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف - فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا : نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ، لنوحده . ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه : من الحجارة والأوثان .

أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ؛ وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل

مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... (وعدد عليه أمور الإسلام) .
 فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ؛ ولم نشرك به شيئاً ؛ وحرمنا ما حرم علينا ؛ وأحللنا ما أحل لنا ...
 فعدا علينا قومنا : فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ؛ وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ؛ فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ؛ وحالوا بيننا وبين ديننا ؛ خرجنا إلى بلادك .

ولما قرأ عليه صدرًا من سورة مريم بكى النجاشي ثم قال :
 إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .
 ثم التفت إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص فقال لهما :
 « انطلقا ، فلا والله لأسلمهم إليكما » .

لقد علم النجاشي ، فور سماعه المبادئ الإسلامية :
 أن هذه المبادئ حق ، وأنها آيات بينات لا يخفى صدقها على أصحاب الفطر السليمة ؛ وعلم أن ما أتى به محمد ؛ ﷺ : إنما يصدر من المنبع الذي كانت تصدر عنه رسالة عيسى عليه السلام .
 وسبيل الله كما صوره سيدنا جعفر : توحيد الله وعبادته وحده ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، وإقام الصلاة ، وأداء الزكاة ، والصيام ... والابتعاد عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة .

أما سبيل الشيطان فهو : عبادة الأصنام ، عبادة الشهوة ، والسيطرة ، والاستعلاء ؛ واستعباد الآخرين وإخراج الأمنين من ديارهم بغير حق . وسبيل الشيطان : إتيان الفواحش ، وقطع الأرحام : وإساءة الجوار . وأن يأكل القوى الضعيف .

وسبيل الشيطان أيضاً : قول الزور ، وإشاعة الأكاذيب والغش بكل طريقه وأساليبه ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات .

(ب) وإذا أردنا تصويراً آخر لسبيل الله - في إجماله وعمومه - حسبما رآه أحد حكماء العرب - ولم يكن قد أسلم - وهو أكرم بن صيفى فإننا - تصويراً للأمر في واقعه - نذكر القصة التالية :

لما ظهر النبي ﷺ بمكة ، ودعا إلى الإسلام ، بعث أكرم ابن صيفى ابنه « حبيشاً » فأتاه بخبره ، فجمع بنى تميم ، وقال لهم - فيما قال : إن ابني شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتاني بخبره ، وكتابه : يأمر بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران ، وقد حلف (عرف) ذور الرأى منكم : أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأى ، ترك ما ينهى عنه .

ثم يقول هذه الكلمات الرائعة :

« إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن ديناً ، لكان في أخلاق الناس حسناً » .

وسبيل الله كما رآه أكرم :

توحيد الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ بمحاسن الأخلاق .

وكلمة : الأخذ بمحاسن الأخلاق ، كلمة جميلة جمعت فاستغرقت وشملت فعمت .

أما كلمته الرائعة حقًا السامية حقًا ، العجيبة في صدقها وإيجازها وفصاحتها فهي قوله :

« إن الذى يدعو إليه محمد ، لو لم يكن دينًا ، لكان فى أخلاق الناس حسنًا » .

(ج) على أن أبا سفيان قبل إسلامه ، وقد كان عدوًّا لدودًا للإسلام لم يستطع أن ينكر أن محمدًا ﷺ إنما يدعو إلى :

الصلاة والزكاة والصلة (صلة الأرحام ، وصلة المؤمنين ومودتهم) والعفاف ، لقد أعلن أبو سفيان ذلك فى ملاء من الأشهاد ردًّا على سؤال هرقل كما رواه الإمام البخارى رضى الله عنه .

(د) وسبيل الله هو ما رسمه الله سبحانه ، وأنزل على رسوله ﷺ ، فكان قرآنًا ، وكان سنة .

وسبيل الله بحسب القرآن الكريم والسنة الشريفة يتبلور ويتمركز فى :

١ - التوحيد فى مجال العقيدة . ٢ - الرحمة فى المجال الأخلاقى .

٣ - العدل فى مجال التشريع .

يقول سبحانه وتعالى فى العقيدة :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١﴾) .

(١) الأنبياء : الآية ٢٥ .

ويذكر سبحانه من شواهد ذلك على لسان سيدنا هود :

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ (١) .

وعلى لسان سيدنا صالح :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٢) .

وعلى لسان سيدنا شعيب :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (٣) .

ويقول عز وجل موضحاً سبيله أمراً ونهيًا :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

(١) هود : ٥٠-٥٢ .

(٢) هود : ٦١ .

(٣) هود : ٨٤ .

(٤) النحل : ٩٠ .

ويقول الله تعالى :

﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعُهُنَّ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .

ويقول سبحانه :

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ الْأَلْبَابَ تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢) .

ويجمل رسول الله ﷺ رسالته في قوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وما من شك في أن مكارم الأخلاق :

في الاعتقاد : التوحيد .

وفي التشريع : العدل .

(١) المتحة : ١٢ .

(٢) الأنعام : ١٥١ - ١٥٣ .

وفي الأخلاق : الرحمة .

وحيثما يتحدث الرحمن الرحيم ؛ الودود القريب المجيب ، عن بواعث الرسالة الإسلامية عن حكمتها ، عن طابعها ، عن سماتها العامة ، عن سماتها الخاصة فإنه سبحانه يعلنها : رحمة .

يقول سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

هذا هو سبيل الله ؛ وهذا هو جوهر الرسالة ، التي كلفت الأمة الإسلامية بالإيمان بها والتبشير بها والقيام عليها ، وتدعيمها في الأنفس والآفاق .

* * *

والجهاد في الإسلام ، جزء من الدين ، وسمة من سماته ، وطابع له ، فإذا ما تركته الأمة الإسلامية فقد تركت الدين ، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر : « وإذا تركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » . وترك الجهاد إذا يستتبع الذل ، والعودة إليه إنما هي عودة إلى الدين بعد الانحراف عنه بترك الجهاد .

ويقول رسول الله ﷺ ، فيما رواه الإمام مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق » .

ولقد سئل رسول الله ﷺ - فيما رواه الشيخان . عن أفضل الأعمال فقال : « الإيمان بالله والجهاد في سبيله » .

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

ولعلنا نلمس من هذه الأحاديث الشريفة الأهمية الكبرى للجهاد في الإسلام ، وهذه الأهمية هي التي جعلت الإسلام يهتم بالصغير والكبير من شئونه .

ولقد بين الله سبحانه أهدافه وغاياته

أولا يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ، فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝ (١) .

وبين سبحانه ثانيًا : أن الشجاعة لا تقصر الأجل وأن الجبن لا يطيل الأجل . وذلك أن الآجال محدودة ، ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ (٢) .

وبين سبحانه ثالثًا : أن التفرغ للقتال لا يصرف عن الإنسان الرزق ؛ فالرزق مضمون ، قد ضمنه الله تعالى ؛ وأقسم سبحانه على ذلك ، وهذا حتى لا يغمر القلق أقطار النفس من أجل الرزق .

وبين سبحانه رابعًا : أن الاستئذان في التخلف عن الجهاد يتنافى مع الإيمان ، بل يتعارض معه ، بل ينتفى الإيمان عند التخلف مع القدرة ، قال تعالى :

(١) النساء : ٧٥ و ٧٦ .

(٢) الأعراف : من الآية ٣٤ .

﴿لَا يَسْتَاذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ . إِنَّمَا يَسْتَاذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١﴾ .

وبين سبحانه خامساً : أن موالاة^(٢) الأعداء كفر :

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣﴾ .

أما إذا انتهى الجهاد إلى الاستشهاد . فالمصير الجنة والقرب من الله ، وفي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أروع وأجمل تصوير لمكانة الشهيد في الآخرة ، نكتفى منها بالآية الكريمة التي يتمنى كل مؤمن أن يكون من تشملهم . يقول تعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ .

(١) التوبة : ٤٤ و ٤٥ .

(٢) المراد بالموالاة هنا : الاتباع والحمابة .

(٣) المجادلة : ٢٢ .

(٤) آل عمران : ١٦٩ - ١٧١ .

وآمن المسلمون بهذه الرسالة وأصبح إيمانهم بها جزءاً من ذاتهم ،
فاندفعوا ييشرون بها بأنفسهم وأموالهم ، وتتابع الجهاد ، وكان من
بين من لبوا نداء الإيمان : عبد الله بن المبارك .

وكما كان ابن المبارك فقيهاً من كبار الفقهاء : وكما كان مثله في
المحدثين مثل أمير المؤمنين في الناس : وكما كان تاجراً ناجحاً : ... فإنه
كان مجاهداً بطلاً .

عن أبي حازم الرازي قال سمعت عبدة بن سليمان - يعني المروزي -
يقول : كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم ، فصادفنا
العدو ، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز ،
فخرج إليه رجل فقتله ؛ ثم دعا إلى البراز فخرج إليه فطارده ساعة
فقطعه فقتله ، فازدحم إليه الناس ، فكنت فيمن ازدحم إليه فإذا هو
يلثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن
المبارك ، فقال : وأنت يا أبا عمر ممن يشنع علينا .

والحديث دائماً يتداول عن الموازنة بين العابد والمجاهد ؛ والواقع
أن المجاهد عابد من أفضل العباد ، ولقد سئل رسول الله ﷺ ؛ عن
أفضل الأعمال فقال : فيما رواه الإمام البخاري - « الإيمان بالله
والجهاد في سبيله » .

ولقد مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، ذات يوم بعين ماء
عذبة فأعجبه فأزاد أن يقيم بجوارها يعبد الله ، ويعتزل الناس ، أراد
أن يعتكف في الجبل بجوار العين يشرب من مائها ، ويأكل من
النباتات التي تنبت حولها ، ويمكث راضى النفس هادئ البال ، ثم

قال لنفسه : لن أفعل حتى أستأذن رسول الله ، وذكر لرسول الله ﷺ ، ما دار بخلده ، فقال له ﷺ : « لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة : أغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله ، فواق ناقة وجبت له الجنة » .

وعلى هذا النسق يخاطب ابن المبارك بالشعر المعتكفين في المساجد للعبادة فيقول :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه	فحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عيبرنا	وهج السنابك والعبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى ^(١) غبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

ولقد كان ابن المبارك منغمساً في الجهاد إلى درجة أن كثيراً ممن كانوا يحبون أن يستمعوا منه كانوا يذهبون إليه فيجدونه في الغزو .

يقول أبو عبد الله : ذهبت لأسمع منه فلم أدركه ، وكان قدم فخرج إلى الثغر فلم أسمع منه ، ولم أره .

(١) هكذا أوردت وليست ثلاثم الوزن ويمكن أن يوضع مكانها لا يجمعان ، أو لا يستقيم .

ولقد ختم الله حياة ابن المبارك بالجهاد ، فإنه قد أدركته الوفاة وهو عائد من الجهاد ، يقول ابن سعد : « توفي بهيت في شهر رمضان منصرفه من الغزو » .

وبعد وفاة ابن المبارك رآه بعضهم فيما يرى النائم ، ومن هؤلاء محمد بن الفضل بن عياض قال : « رأيت عبد الله بن المبارك في المنام فقلت : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ .

قال : الأمر الذى كنت فيه .

قلت : الرباط والجهاد ؟ .

قال : نعم .

قلت : وأى شىء صنع ؟ .

قال : غفر لى مغفرة ما بعدها مغفرة ، وكلمتني امرأة من أهل الجنة ، أو امرأة من الحور العين .

وعن صخر بن راشد قال : رأيت عبد الله بن المبارك فى منامى بعد موته ، فقلت :

أليس قدمت ؟ قال : بلى .

قلت : فما صنع بك ربك ؟ .

قال : غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب .

قلت : فسفیان الثورى ؟ قال : بخ بخ ، ذاك ، ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١) .

(١) النساء : من الآية ٦٩ .

ولم يكن ابن المبارك يقوم بالجهاد واقعياً فحسب ، وإنما كان يعمل بسيفه ، ويستحث على الجهاد بلسانه ، ويكتب عنه بقلمه .

لقد ألف في الجهاد كتاباً مستقلاً ، يقول عنه « حاجي خليفة » : « وهو أول مؤلف ألف فيه » .

ولقد حقق الأستاذ نزيه حماد هذا الكتاب تحقيقاً متقناً جميلاً ، ونشرته دار النور ببيروت في صورة حسنة .

والكتاب عبارة عن مجموعة من الأحاديث عن الرسول ﷺ ، ومن أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، وبعض أقوال التابعين - وهذه الأحاديث والروايات منثور بعضها في كتب الطبقات كالحلية وغيرها من الكتب التي ألفت عن ابن المبارك ، والكتب التي ألفها ابن المبارك . ومن كتاب الجهاد نقتطف ما يلي :

روى ابن المبارك بسنده عن^(١) : محمد بن يسار عن قتادة أنه تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾^(٢) فقال : ثامنهم الله فأعلى لهم .

وعن عتبة بن عبد السلمي - وكان من أصحاب النبي ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال : « القتلى ثلاثة رجال : رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل ذلك الشهيد الممتحن ، في خيمة الله تحت عرشه ، لا يفضلُه النبيون إلا بدرجة

(١) هذه الكلمة : « روى ابن المبارك بسنده » . نعتبرها صالحة لكل حديث يتلو ، ولنا في حاجة إلى تكرارها .

(٢) التوبة : الآية ١١١ .

النوبة ، ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل ، فتلك مصمصة^(١) تحت ذنوبه وخطاياها ، إن السيف محاء للخطايا وأدخل من أبواب الجنة شاء ؛ فإن لها ثمانية أبواب ، ولجهنم سبعة أبواب ، وبعضها أسفل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل فذلك فى النار ، إن السيف لا يمحو النفاق .

وعن عبد الله بن عمر قال : الناس فى الغزو جزءان : فجزء خرجوا يكثررون ذكر الله والتذكير به ؛ ويجتنبون الفساد فى المسير ويواسون صاحب ، وينفقون كرائم أموالهم ؛ فهم أشد اغتباطاً بما أنفقوا من أموالهم منهم بما استفادوا من دنياهم ؛ وإذا كانوا فى مواطن القتل استحيوا من الله فى تلك المواطن أن يطلع على رية قلوبهم ؛ أو خذلان للمسلمين ؛ فإذا قدروا على الغلول ؛ طهروا منه قلوبهم وأعمالهم ، فلم يستطع الشيطان أن يفتنهم ، ولا يكلم قلوبهم ، فبهم يعز الله دينه ، ويكبت عدوه .

وأما الجزء الآخر : فخرجوا فلم يكثرُوا ذكر الله ولا التذكير به ؛ ولم يجتنبوا الفساد ولم ينفقوا أموالهم إلا وهم كارهون ، وما أنفقوا من أموالهم رأوه مغرمًا وحزنهم به الشيطان ؛ فإذا كانوا عند مواطن القتال كانوا مع الآخر الآخر ، والخاذل والخاذل ؛ واعتصموا براءوس

(١) مصمصة : مصمص إناؤه حرك فيه الماء لينظف ، وفى القاموس المغيظ (فى الحديث المرفوع عن عتبة بن عبد الله - القتل فى سبيل الله مصمصة الذنوب أى مطهرة من دنس الخطايا ، وإنما أنت لأن القتل بمعنى الشهادة .

الجبل ، ينظرون ما يصنع الناس ؛ فإذا فتح الله للمسلمين ، كانوا أشدهم تخاطبًا بالكذب ؛ فإذا قدروا على الغلول ، اجترأوا فيه على الله ، وحدثهم الشيطان ، أنها غنيمة ؛ إن أصابهم رخاء بطروا ؛ وإن أصابهم حبس ؛ فتنهم الشيطان بالعرض ؛ فليس لهم من أجر المؤمنين شيء ، غير أن أجسادهم مع أجسادهم ، ومسيرهم مع مسيرهم ، دنياهم وأعمالهم شتى ، حتى يجمعهم الله يوم القيامة ثم يفرق بينهم) .
وعن أبي هريرة يقول ، قال رسول الله ﷺ : « روحه في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، أو ما عليها » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لولا أن أشق على أمتي - أو قال : على الناس - لأحببت ألا أتخلف عن سرية تخرج في سبيل الله ، ولكني لأجد ما أحملهم عليه ، ولا يجدون ما يتحملون عليه ، ولشق عليهم أن يتخلفوا بعدى أو نحو ، ولوددت أنى أقاتل في سبيل الله فأقتل ، ثم أحيأ ثم أقتل ، ثم أحيأ ثم أقتل » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخرى عبد مسلم أبداً » .

وعن أبي مصبح الحمصي قال : بينما نحن نسير بأرض الروم في صائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمي ، إذ مر مالك بجابر بن عبد الله وهو يمشى يقود بغلاله فقال له مالك : أى أبا عبد الله ، اركب فقد حملك الله .

فقال جابر : أصلح دابتي وأستغنى عن قومي ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار » ،

فأعجب مالكا قوله ، وسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت ، ناداه بأعلى صوته : أى أبا عبد الله ، اركب فقد حملك الله ، فعرف جابر الذى أراد ، فأجابه ، فرفع صوته فقال : أصلح دابتي ، وأستغنى عن قومي .

وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار » .

فتوائب الناس عن دابهم ، فما رأيت يوماً أكثر ماشياً منه .

وعن أبى الأحمس ، أراه قال : بلغنى أن أبا ذر قال :

ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله ، فلقيته فقلت :

يا أبا ذر ما حدثت ؟ بلغنى عنك ما تحدث به عن رسول ﷺ ،

أحببت أن أسمعه منك . قال : ما هو ؟

قلت : ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله .

قال : قلته وسمعته .

قلت : فمن الذين يحبهم الله ؟

قال : رجل كان فى فئة أو سرية ؛ فانكشف أصحابه ، فنصب

نفسه ونحره حتى قتل أو يفتح الله عليه .

ورجل كان مع قوم فى سفر ، فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن

يمسوا الأرض فنزلوا ، فقام ، فتنحى حتى أيقظ أصحابه للرحيل .

ورجل كان له جار سوء فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت

أو ظعن .

قلت : هؤلاء يحبهم الله فمن الذين يشنؤهم ؟ قال :

التاجر الخلاف ، أو البياع الخلاف ، والبخيل المنان ، والفقير المختار .

وعن ابن وائل قال : لما حضرت خالد بن الوليد الوفاة ، قال :
لقد طلبت القتل مظانة ، فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى ،
وما من عمل شىء أرجى عندى بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا
متترس بفرسى والسماء تهلنى ، منتظر الصبح حتى نغير على الكفار
ثم قال : إذا أنا مت فانظروا سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل
الله . فلما توفى ، خرج عمر على جنازته ، فذكر قوله : ما على نساء
أبى الوليد أن يسفحن على خالد من دموعهن ما لم يكن نفعاً أو لقلقة .
قال ابن المختار : « النقع . التراب على الرأس . واللقلقة :
الصوت » .

وعن القاسم والحكم أن حارثة بن النعمان أتى رسول الله ﷺ
وهو يناجى جبريل ، فجلس ولم يسلم فقال جبريل : « يا رسول الله ،
أما أن هذا لو سلم لرددنا عليه ؟ .
قال : وهل تعرفه ؟ .

قال : نعم هذا من الثمانين الذين صبروا معك يوم حنين أرزاقهم
وأرزاق أولادهم على الله فى الجنة » .

وعن يحيى بن أبى كثير أن رسول الله ﷺ قال :
« من وضع رجله فى ركابه فاصلا فى سبيل الله فلدغته هامة أو
وقعتة دابة ، أو مات بأى حتف مات ، فهو شهيد » .

وعن أبى هريرة قال : « أيسطيع أحدكم أن يقوم فلا يفتر ؟ ويصوم
فلا يفطر ما كان حيا ؟

فقيل له : يا أبا هريرة ، ومن يطيق هذا !

فقال : والذى نفسى بيده : إن يوم المجاهد فى سبيل الله أفضل

منه .

وعن سعيد بن أبى هلال أن سليمان بن أبان حدثه « أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه أن يخرجوا جميعاً ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فأمرهما أن يخرج أحدهما فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فقال أبوه : آثرنى بها يا بنى ، فقال يا أبت ، إنها الجنة ، لو كان غيرها آثرتك به - فخرج سعد مع النبي ﷺ ، فقتل يوم بدر ، ثم قتل خيثمة من العام المقبل يوم أحد . »

وعن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« من ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ . »

فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله .

قال : فخرج يطوف فى القتلى حتى وجد سعداً جريحاً قد أثبت

بأخر رمق .

فقال : يا سعد إن رسول الله ﷺ ، أمرنى أن أنظر له أمن الأحياء

أنت ، أم فى الأموات ؟ .

قال : فإنى فى الأموات ، أبلغ رسول الله ﷺ منى السلام ، وقل

له : إن سعداً يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ،

وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعداً يقول لكم : إنه لا عذر

لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف . »

وعن جابر بن عبد الله قال :

لما أراد معاوية أن يجرى الكظامة^(١) ، قال : قيل من كان له قتيل فليأت قتيله - يعني قتلى أحد - قال : فأخرجناهم رطابا يتشون .

قال : فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانفطرت دما قال أبو سعيد الخدرى : ولا ينكر بعد هذا منكر أبداً .

وعن جرير بن حازم قال - سمعت الحسن يقول :

لما حضر الناس باب عمر وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب وتلك الشيوخ من قريش ، فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر لصهيب وبلال وأهل بدر وكان والله بدرياً وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم فقال أبو سفيان : ما رأيت كالיום قط إنه يؤذن لهذه العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا .

فقال سهيل بن عمرو : ويا له من رجل ما كان أعقله ، أيها القوم إني والله لقد أرى الذى فى وجوهكم ، فإن كنتم غضابا على أنفسكم ، دعى القوم ودعيتهم فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله سبقوكم به من الفضل فيما لا ترون . أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذى تنافسونهم عليه .

ثم قال : أيها القوم : إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون فلا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه ، وانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى أن يرزقكم شهادة ثم نفى ثوبه فلحق بالشام . فقال الحسن : صدق الله ، والله لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه .

وعن أنس بن مالك أن أبا طلحة قرأ هذه الآية : ﴿وانفروا خِفَافًا

(١) الكظامة : بالكسر فم الوادى أو مجرى الماء فى باطن الأرض .

وَتَقَالًا ﴿١﴾ إِنْخِ الْآيَةِ ، فَقَالَ : أَمَرْنَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَاسْتَغْفِرْنَا شَيْوْحًا وَشِبَانًا ، جَهْزُونِي فَقَالَ بَنُوهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَدْ غَزَوْتَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبَى بَكْرٍ وَعَمْرٌ فَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ الْآنَ. فَغَزَا الْبَحْرَ ، فَمَاتَ ، فَطَلَبُوا جَزِيرَةَ يَدْفُونُهُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَمَا تَغْيِيرُ . وَعَنْ أَبِي الْجَهْمِ بْنِ حَذِيفَةَ الْعَدَوِيِّ ، قَالَ : « انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِي ، وَمَعِيَ شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ وَإِنَاءٌ ، فَقُلْتُ :

إِنْ كَانَ بِهِ رِمَاقٌ ^(٢) سَقَيْتَهُ مِنَ الْمَاءِ وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَغُ ^(٣) ، فَقُلْتُ أَسْقِيكَ ؟ فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : آه ! فَأَشَارَ ابْنُ عَمِي أَنْ انْطَلِقَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَأَتَيْتَهُ .

فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ : آه ! فَأَشَارَ هِشَامُ أَنْ انْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ فَجَعَلْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ ابْنَ عَمِي ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ . » .

وَعَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴿٤﴾ إِنْخِ الْآيَةِ ، قَالَ :

(١) التوبة : الآية ٤١ .

(٢) الرمق : بقية الحياة والرماق: قليل يمسك الرمق وعلى هذا فكلمة الرمق أنسب للمعنى .

(٣) ينشغ : يشهق حتى يكاد يفتشى عليه .

(٤) الحجرات : الآياتان ٢ و ٣ .

فقعد ثابت بن قيس في بيته ، وقال : لا أرانى إلا كنت أرفع الصوت على رسول الله ﷺ ، فسأل عنه ، فقال رجل من القوم : إن شئت علمت لك علمه يا رسول الله فأتاه ، فوجده منكسر الوجه ، فقال : إن رسول الله ﷺ افتقدك وسأل عنك . فقال : إني كنت أرفع الصوت على رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية ، وإنه من أهل النار .

فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال ، قال موسى بن أنس : فأتاه المرة الثانية بيشارة عظيمة ، فقال له : إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة .

وعن ثابت بن قيس الأنصارى قال : يا رسول الله ، لقد خشيت أن أكون قد هلكت .

قال : ولم ؟

قال : نهانا الله أن نتحمد بما لم نفعل ، وأجدنى أحب الحمد .
ونهاننا عن الخيلاء ، وأجدنى أحب الجمال .

ونهاننا تبارك وتعالى أن نرفع أصواتنا فوق صوتك ، وأنا امرؤ جهير الصوت .

فقال رسول الله ﷺ : يا أبا ثابت ، ألا ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً ويدخلك الله الجنة ؟ .

قال : بلى يا رسول الله . قال : فعاش حميداً ، وقتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب .

وعن عثمان بن أبي سودة ، قال : بلغنا في هذه الآية ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾

السَّابِقُونَ ﴿١﴾ قال : أولهم رواحًا إلى المسجد ، وأولهم خروجًا في سبيل الله عز وجل .

وعن أبي عتبة الخولاني أنه كان يومًا في مجلس خولان في المسجد جالسًا ، فخرج عبد الله بن عبد الملك هاربًا من الطاعون ، فقال :
إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما كنت أرى أن أبقى حتى أسمع مثل هذا أفلا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم ؟

أولها : لقاء الله عز وجل كان أحب إليهم من الشهيد .

والثانية : لم يكونوا يخافون عدوًا قلوبًا أو كبرًا .

والثالثة : لم يكونوا يخافون عوزًا من الدنيا وكانوا واثقين بالله عز وجل أن يرزقهم .

والرابعة : إن نزل بهم الطاعون لم يرحوا حتى قضى الله فيهم ما قضى .

وعن عمرو بن عتبة بن فرقد : سألت الله عز وجل ثلاثًا ، فأعطاني اثنتين وأنا أنتظر الثالثة .

سألته أن يزهدني في الدنيا ، فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر .

وسألته أن يقويني على الصلاة ، فرزقني منها .

وسألته الشهادة ، فأنا أرجوها .

وعن العلاء بن هلال الباهلي : أن رجلا من قوم صلة قال لصلة : يا أبا الصهباء ، إني رأيت أني أعطيت شهادة ، وأعطيت أنت شهادتين ، فقال له صلة : خيرًا رأيت ، تستشهد وأستشهد أنا وابني .

(١) الواقعة : الآية ١٠ .

قال : فلما كان يوم يزيد بن زياد ، لقيهم الترك بسجستان ، فكان أول جيش انهزم من المسلمين ذلك الجيش .

فقال صلة لابنه : يا بنى إلى أمك . فقال : يا أبت أتريد الخير لنفسك وتأمرنى بالرجعة ؟ أنت والله كنت خيراً لأمى منى .

قال : أما إذا قلت هذا فتقدم ، قال : فتقدم ، فقاتل حتى أصيب . فرمى صلة عن جسده ، وكان رجلاً رامياً حتى تفرقوا عنه وأقبل يمشى حتى قام عليه ، فدعا له ، ثم قاتل حتى قتل .

وعن معاذة امرأة صلة قالت : لما جاءها نعى زوجها وابنها وأنه قدمه بين يديه وقال لابنه تقدم فأحتسبك ، فقتل (١/٢٦) ، ثم قتل الأب . فلما جاءها نعيهما ، جاء النساء ، فقالت : « إن كنتن جئتن لتتهنتنا بما أكرمنا الله به فذلك ، وإلا فارجعن » .

وعن ثابت قال : وكان صلة يأكل يوماً ، فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك .

فقال : هيهات ، قد نعى إلى ، اجلس .

فقال الرجل : ما سبقنى إليك أحد ؟

فقال : قال الله عز وجل :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (١) .

وعن جرير بن حازم قال سمعت الحسن يقول : قال رجل من أهل

البادية لعمر : يا خير الناس ، يا خير الناس . فقال : ما يقول ؟ .

قيل : يقول يا خير الناس .

(١) الزمر : الآية ٣٠ .

قال : ويحكم ، إنى لست بخير الناس .

قال : والله يا أمير المؤمنين ، إن كنت لأراك خير الناس .

قال : أفلا أخبرك بخير الناس ؟

قال : بلى .

قال : فإن خير الناس رجل بلغه الإسلام ، وهو فى داره وأهله وماله ، فعمد إلى صرمة^(١) من إبله ، فحدرها إلى دار من دور الهجرة فباعها ، فجعل ثمنها عدة فى سبيل الله عز وجل ، فجعل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو بين يدي المسلمين وبين عدوهم ، فذلك خير الناس .

قال : يا أمير المؤمنين إنى رجل من أهل البادية ، وإن لى أشغالا ، وإن لى ، وإن لى ، فأمرنى بأمر يكون لى ثقة ، وأبلغ به .

فقال : أرنى يدك فأعطاه يده .

فقال : تعبد الله عز وجل ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت وتعتز وتسمع وتطيع ، وعليك بالعلانية ، وإياك والسر وعليك بكل شىء إذا ذكر أو نشر لم تستح منه ، ولم يفضحك ، وإياك وكل شىء إذا ذكر ونشر استحيت منه وفضحك .

فقال يا أمير المؤمنين : أفأعمل بهذا ، فإذا لقيت ربي عز وجل قلت أمرنى بهن عمر ؟ .

قال : خذهن ، فإذا لقيت ربك عز وجل فقل ما بدا لك .

(١) الصرمة : بالكسر القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده فيض من الناس فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله ، أى الناس خير منزلة عند الله عز وجل بعد أنبيائه وأصفياؤه ؟ .

قال : المجاهد فى سبيل الله عز وجل بنفسه وماله حتى تأتبه دعوة الله عز وجل وهو على متن فرسه أو آخذ بعنانه .

قال : ثم من يا نبى الله ؟ قال فخطب بيده وقال :

امروا بناحية يحسن عبادة الله عز وجل ويدع الناس من شره .

قال : فأى الناس شر منزلة عند الله عز وجل ؟ .

قال : المشرك بالله .

قال : ثم ؟ قال: ذو سلطان جائر، يجور عن الحق ، وقد مكن له .

عن المبارك بن فضالة عن الحسن أنه سمعه يقول فى قول الله عز

وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾^(١) إِنْخ الآية ، قال :

أمرهم أن يصبروا على دينهم ، ولا يتركوه لشدة ولا رخاء ولا سراة ولا ضراء ، وأمرهم أن يصابروا الكفار ، وأن يرابطوا المشركين .

وعن أبى صالح الحمصى أن رسول الله ﷺ قال : « يعث الله عز

وجل يوم القيامة أقواما يمرون على الصراط كهيئة الريح ، ليس عليهم

حساب ولا عذاب ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ - قال : أقوام

يدركهم موتهم فى الرباط .

(١) آل عمران : الآية ٢٠٠ .

وعن أبي عمران الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة أعين لا تحرقهم النار أبداً ، عين بكت من خشية الله ، وعين سهرت بكتاب الله ، وعين حرس في سبيل الله عز وجل » .

وعن صفوان بن عبد الله بن صفوان أن رجلاً قال يوم صيفين : اللهم العن أهل الشام .

فقال علي : لا تسبوا أهل الشام جما غفيراً ، فإن فيهم قوما هم كارهون لما ترون ، وإن فيهم الأبدال .

وعن أبي قلابة ، قال رسول الله ﷺ : « لا يزال في أمتي سبعة لا يدعون الله عز وجل بشيء إلا استجيب ، بهم تنصرون ، وبهم تمطرون وحسبت أنه قال : وبهم يدفع عنكم » .

وعن مجاهد يقول : صحبت ابن عمر لأخدمه ، فكان يخدمني .

وعن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال : تعلموا المهن ، فإن احتاج الرجل إلى مهنته انتفع به .

قال : وحدثنا أشياخنا أن معاوية بن أبي سفيان كان يقول : ليرفع أحدكم ثوبه وليصلحه ، فإنه لا جديد لمن لا خلق له .

وعن رافع أن عمرو بن عتبة كان يشترط على أصحابه أن يكون خادهم ، قال : فخرج في الرعى في يوم حار ، فأتاه بعض أصحابه ، فإذا هو بالغمامة تظله ، وهو نائم . فقال أبشر يا عمرو ! فأخذ عليه عمرو ألا يخبر به .

وعن بلال بن سعد عمّن رأى عامر بن عبد قيس بأرض الروم على بغلة يركبها عقبة وحمل المهاجرين عقبه .

وقال بلال بن سعد وكان إذا فصل غازيا وقف يتوسم الرفاق ،
فإذا رأى رفقة توافقه قال : يا هؤلاء ! إني أريد أن أصحبكم على أن
تعطوني من أنفسكم ثلاث خصال فيقولون : ما هي ؟

قال : أكون لكم خادما لا ينازعني عني أحد منكم الخدمة ،
وأكون مؤذنا لا ينازعني أحد منكم الأذان ، وأنفق فيكم بقدر طاقتي ،
فإذا قالوا نعم ، انضم إليهم ، فإن نازعه أحد منهم شيئا من ذلك ،
رحل عنهم إلى غيرهم .

وعن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يرافق أصحابه في السفر رفقا ،
فجعلت رفقة منهم يهرفون^(١) برجل منهم قالوا : يا رسول الله ، ما رأينا
مثله ، إن نزل فصلاة ، وإن ارتحل فقراءة وصيام لا يفطر - فقال
رسول الله ﷺ : من كان يكفيه كذا ؟

قالوا : نحن .

قال : كلكم خير منه .

وعن شر- بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن عبد الله بن يزيد
الحبلى يقول سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ :
« خير الأصحاب عند الله عز وجل خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران
عند الله عز وجل خيرهم لجاره » .

وعن عبد الله بن عمر يقول : طوبى للغرباء الذين هم صالحون
عند فساد الناس .

(١) قال ابن الأثير : يهرفون بصاحب لهم ، أى يمدحونه ويطنبون فى الشاء عليه .
(النهاية ٢٤٧/٤) .

وعن أبي بكر الصديق يقول : إن دعوة الأخ في الله عز وجل مستجابة .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : بلغ عمر بن الخطاب رضي عنه أن أبا عبيدة حصر بالشام ، وتألّب عليه العدو ، فكتب إليه عمر : سلام عليكم ، أما بعد :

فإنه ما نزل بعد مؤمن من منزلة إلا جعل الله عز وجل بعدها فرجاً ، ولن « يغلب عسر يسرين » .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١) .

قال فكتب إليه أبو عبيدة . سلام ، أما بعد :

فإن الله عز وجل يقول في كتابه^(٢) : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُمْصِقًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

قال : فخرج عمر بكتابه مكانه ، فقعده على المنبر ، فقرأه على أهل المدينة ، فقال : يا أهل المدينة ! إنما يعرض بكم أبو عبيدة ، أو أن ارجعوا في الجهاد .

وعن أبي نجیح السلمی ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(١) آل عمران : الآية ٢٠٠ .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الحديد .

« من شاب شية في سبيل الله عز وجل كانت له نوراً يوم القيامة » .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : لولا ثلاث ، لولا أن أسير في سبيل الله عز وجل ، أو يغبر جيبني في السجود ، أو أقاعد قومًا يتقون طيب الكلام كما يتقى طيب التمر ، لأحببت أن أكون قد لحقت بالله عز وجل .

وعن ابن عمر يقول : لسفرة في سبيل الله عز وجل أفضل من خمسين حجة .

وعن مكحول ، قال قال رسول الله ﷺ : « ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ ، قالوا : بلى . قال : فاغزوا في سبيل الله عز وجل » .

وعن عبد الله بن قيس قال : سمعت أبي يقول وهو بحضرة العدو ، قال رسول الله ﷺ : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف : فقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول ؟ قال : نعم . قال : فجاء إلى أصحابه ، فقال : اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه ، فألقاه ثم مضى بسيفه قدمًا ، يضرب به حتى قتل » .